الاغتراب في روايات غائب طعمة فرمان(*)
- النخلة والجيران أنموذجاً -

أ. د. صالح علي حسين الجميلي
جامعة تكريت - كلية التربية

بسم الله الرحمن الرحيم

تعددت آراء النقاد والباحثين بشأن مدحها ورفع شأنها، فمنهم من عدَّها "أول رواية عراقية بالمعنى الكامل للكلمة"(١)، ومنهم من عدَّها بمثابة العمل الفني الذي يستحق لأجله مؤلفه (غائب) أن يعدّ "الرائد الفني للرواية العراقية المعاصرة"(٢)، فيما جعله ثالث "أول روائي من العراق يطاول قامة الروائيين العرب"(٣)، وذهب رابع إلى وصف هذه الرواية بـ"رائعة الأدب العربي الحديث"(٤). واعتقد (فيصل دراج) انها تحتل "موقعاً ريادياً في الرواية العراقية، ومكاناً طليعياً في الرواية العربية"(٥).

وفي مقابل هذا التقريظ، لم تنجُ الرواية من النقد، والذي يتجلَّى في محاولة الناقد العراقي (فاضل ثامر)(٦) مطابقة هذه الرواية برواية (زقاق المدق) لنجيب محفوظ، منوهاً بأن (غائب) قد تأثَّر في روايته (النخلة والجيران) إلى حدٍ بعيد بالجوّ الذي تخلَّل رواية (زقاق المدق)، وأنه كان الأجدر به أن يُبرز ما كانت تملكه الجماهير الشعبية في العراق من وعيٍ سياسيٍ طيب أثناء الحرب العالمية الثانية.

(*) البحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة بـ(الغربة والاغتراب في روايات غائب طعمة فرمان)، للطالبة: ميساء نبيل عبدالحميد، بإشراف: أ. د. صالح علي حسين الجميلي، جامعة تكريت، كلية التربية، ٢٠١١م.

إن ما يهمنا هنا وعلى وجه الخصوص، أن هذه الرواية كانت أولى الروايات التي كتبها (غائب)، بعد أنْ مارس مدة من الزمن تجربة كتابة (القصة القصيرة)، ثم رغب في توسيع مجالات وآفاق معالجاته الدرامية، والتمتع بقدر أكبر من الحرية في الوصف والتعمق في التحليل، فمال إلى كتابة الرواية. وقد روى في إحدى المقابلات (قصة) كتابتها، وكيف اختمرت في ذهنه، ونمت، ونضجت، اذ قال: إن رواية النخلة والجيران "انطلقت من قصة قصيرة كتبتها عام ١٩٥٧ عندما كنت في مصر، ونشرتها في عام ١٩٥٩ في مجلة (المثقف) بعنوان (سليمة الخبازة). وفي عام ١٩٦٢ بدأت أعمل فيها جدياً، وأنجزت الرواية عام ١٩٦٤"[٧]. إذن يبدو أن (غائب) ما أن انتهى به المطاف في أرض (الغربة) – موسكو، حتى أخذت تتنازعه مشاعر (الاغتراب) بقوة وعمق إلى حد أنه لم يجد مفراً من أجل التواصل مع أرض (الوطن) وأجوائه سوى اطلاق العنان لما تختزنه ذاكرته من الوقائع والأحداث التي عايشها، أيام كان يترعرع بعفوية وبراءة في رحاب (الوطن – العالم) الصغير – أي (المحلة) التي نشأ وترعرع وأمضى طفولته فيها، فهو يقول عن شروعه في كتابة (الرواية): "واستحضرت الماضي بكل ما فيه من صور وانطباعات في ذاكرتي، وبدأت أكتب عن المحلة التي عشت فيها، عن الناس الذين عاشروني أيام تفتحي الذهني، عن الزمن العصيب الذي عشنا فيه، نحن الذين فتحنا عيوننا على عالم الحرب العالمية الثانية، عالم البؤس والتقشّف والحرمان..."[٨].

وكما هو واضح، فإنَّ (غائب) ينبؤنا من خلال حديثه بـ(المكان) و (الزمان) اللَّذين تجرى فيهما أحداث الرواية ووقائعها، أما (الزمان) فهو: أيام اندلا ع الحرب العالمية الثانية، وما كانت تسببه من أَزَمَات سياسية واقتصادية واجتماعية. وأما (المكان) فهو: (الوطن)، وتحديداً (بغداد)، وعلى وجه الخصوص: إحدى محلاتها الشعبية، حيث ولد (غائب) وترعرع فيها، (وهي في الواقع، محلة المربعة، إلا أن غائب يسميه في الرواية: حي الصافن)[٩]. محلة بائسة، منسية، أو على حد تعبير (مصطفى) – أحد شخصيات الرواية: "محلة محشوكة بفد زوية، وأهلها ملتهين بلكمتهم. وميعرفون اش يجرى بالدنيا. لا يعرفون عمك شرشل، ولا ابن خالك هتلر"[١٠].

ومن هذا الحي الشعبي اختار (غائب) ثلاثة مواضع متجاورة، جعلها مسرح روايته تعيش فيه وتتحرك عبره شخوصها، وهي: بيت (سليمة الخبازة) الذي يتوسطه (حوش) نبتت فيه "نخلة مهجورة عاقر مثلها"[١١]، وتعيش في حجرتيه مع ابن زوجها (حسين). و(الطولة) أو (طولة حاج أحمد آغا) التي تتكوَّن من "قطعة من الأرض مستطيلة مسورة بصفائح مضلعة متآكلة بلون الحناء، مثقبة بثقوب مجهولة الأصل. وفي الداخل كانت المعالف تحت سقيفة خربة واطئة تشترك مع سليمة الخبازة في جدار واحد ينتهي بالطوفة التي تمتد شمالاً حتى السطح... وعلى يسار المعالف ليوان صغير فيه حجرة صغيرة للأشياء المستهلكة، وحجرة ذات فتحة سقيفة ينام فيها مرهون في الشتاء"[١٢]. أما الموضع الثالث فهو (الخان) والذي كان "بيتاً كبيراً يجاور بيت سليمة الخبازة من الناحية الأخرى... سماه الناس (خاناً) لتعدد حجره، وكثرة نزلائه. فيه يسكن حمادي وزوجته رديفة وطفلته في حجرة، ويسكن رزوقي وخيرية... في حجرة ثانية، وثلاث عوائل في حجرة ثالثة، وفتحية بائعة الباقلاء في شبه حجرة.. وهناك شبه حجرة أخرى لا يقبل مخلوق أن يؤجرها"[١٣].

تبدأ الرواية بحوار بين اثنتين من شخصياتها الرئيسة: (سليمة) الأرملة التي تعمل خبازة لتعيل نفسها وابن زوجها (حسين)، اللذان يسكنان بيتاً اورثه زوجها (عليوي) لهما، ويجاور البيت، من جهة (طولة)، ومن جهة أخرى (خان). وترتبط (سليمة) بروابط طيبة مع سكان كلٍ من (الطولة) و(الخان)، مثل: مرهون أبو قنبورة السايس، وحمادي العربنجي وزوجته رديفة، وفتحية بياعة الباقلاء، ورزوقي وزوجته خيرية، التي يعمل زوجها (فراشاً) في إحدى دوائر الحكومة، فتتباهى به مظهرة إياه أمام سكان الحي وكأنه مسؤول كبير في الحكومة، وكلما ذكرت اسم الحكومة تردفه بعبارة (الله يسلمها) لذا اعتاد سكان الحي على السخرية منها وتلقيبها بـ(الحكومة الله يسلمها). ويطغى على هؤلاء الناس همّ وتوجس مما يمكن أن يأتي به المستقبل من طارىء يتهدد مصيرهم. ففي حين يهيمن على (مرهون) و(حمادي) خوف شديد من إقدام صاحب (الطولة) على تنفيذ تهديده المتكرر ببيعها، تخشى سليمة من إقدام (حسين) على تنفيذ تهديده المتكرر ببيع البيت الذي ورثه من أبيه.

يتعرف (حسين) أمام احدى دور السينما على فتاة (تماضر) هربت من بيت أهلها؛ لأن أباها أراد أن يزوجها دون رغبتها من رجل طاعن في السن، فيحتضنها ويؤمن لها سكناً يضمن له معاشرته لها. فيما تفاجأ (سليمة) يوماً بـ(مصطفى الدلال) – أحد أصدقاء زوجها يزورها في البيت، متظاهراً برغبته في مساعدتها وإراحتها من عناء عملها الشاق أمام (التنور)، فيقترح عليها أنْ يتوسط لها للمشاركة في رأسمال فرن (الصمون) الذي يملكه شخص أرمني (خاجيك)، فترتاح من عناء العمل، وتحصل على نصف واردات الفرن، في مقابل أن تقدم (٣٠) ثلاثين ديناراً. وكانت غاية (مصطفى) الحقيقية الحصول على نقودها لكي يتاجر بها في السوق السوداء، بمخلفات معسكرات الجيش البريطاني. وفيما تفشل صفقة (مصطفى) التجارية، تتطور علاقته مع (سليمة) وتنتهي بالزواج منها.

ولم يكن (مصطفى) الوحيد الذي يستنزف موارد (سليمة) ونقودها التي تجنيها بعناء من عملها كخبازة، وإنما (حسين) هو الآخر كان يطالبها يومياً بالمصروف. والواقع أن (حسين) كان قد إئتمن مبلغاً من المال عند أحد الأشخاص الذين يتعاطفون معه وهو (صاحب أبو البايسكلات). فكان (حسين) يحصل على النقود من زوجة أبيه ويسحب مما أودعه عند (صاحب)؛ ليبذرها على ملذاته وعلى (تماضر).

و(صاحب) يمثل شخصية ناضجة، متزنة، واعية، يرعى (حسين) ويقدم النصح والارشاد له. ويبدي عدم رضاه عن سلوكه، وعطالته. بل أن (صاحب) لا يرضى عن أي سلوك غير لائق أو مخالف للأصول، أياً كان مصدره، حتى لو كان (إبن الحولة) أحد الأشقياء، الذي اعتاد أن يفرض سطوته على الناس بسلوكه العنيف. لذا فعندما يبدر من الأخير تصرف غير لائق يؤنّبه (صاحب) على ذلك، فيقابله (ابن الحولة) بالتهديد والتوعد.

وما تلبث أحداث الرواية أن تتصاعد مكونة نسيجاً من التوتر يطبق بالتدريج حول (حسين) الذي يكاد أنْ يغدو القطب الرئيسي للرواية. فمن ناحية تشهد علاقته مع (تماضر) تطورات غير متوقعة. فهو كان قد أجّر لها غرفة من منطقة بعيدة (خلف السدة)، اتخذاها سكناً لهما، معتقدين أن عيون أهلها لا يمكن أن تصل إليها. إلا أن (تماضر) تشك يوماً بمراقبة أحد الرجال الريفيين لها، فتشعر بالهلع وتطلب من (حسين) أن يوفر لها ملاذاً أكثر أمناً. فيضطر

إلى الموافقة على اقتراحها بأن يذهب إلى (الخالة نشمية) التي تسكن في (الكرادة) قرب (البانزينخانة). فتوافق على أن يسكنا في إحدى غرف بيتها. بعد ذلك تشهد علاقة (حسين) بـ(تماضر) تغيراً، إذ تأخذ الأخيرة بمطالبته بأن يشتري لها هدايا، كما تكتشف انها (حامل). فينشغل (حسين) بإيجاد وسيلة للحصول على نقود يستجيب بها لطلبات (تماضر) ويفكر في سرقة زوجة أبيه، إلا أنه لم يستطعْ، فيقرر بيع البيت ويستلم (العربون). وبعد أن يشتري أقراطاً تلبيةً لرغبة تماضر ويذهب لكي يقدمها إليها، يُفاجأ بعدم وجودها في البيت، حيث دبَّرت (الخالة نشمية) صفقة لكي يستحوذ على (تماضر) رجل آخر هو (عمران – مضمنجي بستان البرتقال) وتجابهه (نشمية) بفظاظة وتطرده من البيت بمعونة رجل لم يعرفه. وهكذا تنتهي علاقته بـ(تماضر) بفقدانها، وفقدان كرامته، وفقدان البيت الذي ورثه.

ومن ناحية أخرى، فان (ابن الحولة) ينفذ تهديده، فيقتل (صاحب). فيفقد بذلك (حسين) أقرب الناس إليه، الصديق الصدوق الذي كان يأتمنه على أخص ما يملك. وهكذا يجد (حسين) نفسه وحيداً، ضائعاً، متوتراً، يمضي أوقاته في مقهى (أبي شهاب) وفي أحد الفنادق. ويأتي رد فعله إزاء كل ذلك الفقدان على شكل اندفاعة هوجاء، يحاول أن يخمد بها البركان المستعر في ذاته، فيشتري سكيناً ويذهب إلى (أوتيل الأمراء)، ويواجه الشقي (محمود ابن الحولة) قاتل صديقه وراعيه، فيطعنه حتى الموت. وبذلك تنتهي الرواية.

وتتميز (الرواية) بكونها تضم عدداً كبيراً من الشخصيات، ولعل ذلك مردّه إلى أنها مستمدة من خزين ذاكرة المؤلف وما يحتشد فيها من وقائع وأحداث وتجارب شخصية من أيام نشأته في (محلة المربعة)[١٤]. إلا أننا يمكن أن نميز في ذلك العدد الكبير من الشخصيات بين صنفين:

١. شخصيات رئيسة، هي محور أحداث الرواية، وتتمثل في: سليمة الخبازة وحسين، ومصطفى الدلال، وتماضر.

٢. شخصيات ثانوية، تساهم بشكل أو بآخر في مجمل مسار الأحداث وصياغة نسيج الرواية، وتتمثل في سكنة (الخان) – مرهون السايس، و(الطولة) – حمادي العربنجي وزوجته رديفة، ورزوقي وزوجته خيرية، وفتحية بائعة الباقلاء، وأسومة العرجة وبنتها بدرية

والعوانس الثلاث – تسواهن وخديجة وأميرة، وآخرين من سكنة حي (الصافن) – صاحب أبو البايسكلات، ومحمود ابن الحولة، وشخصيات أخرى تعيش خارج الحي ولكن لها تأثير في احداث الرواية، مثل: خاجيك الأرمني، ونشمية، وعمران المضمنجي.

شخصيات عديدة مستلبة، جديرة بالرثاء، تعيش في مكب البؤس وعلى هامش التاريخ، ويجعل نمط حياتها اليومية من الهامش المذكور وكأنه مركزها الحقيقي، تختلج في ذواتها مشاعر الغربة والاغتراب بشتى أنواعه وأشكاله، وعلى الرغم من كثرة عددها، إلا أننا حين نقرأ الرواية بتمعّن نكتشف أنها ليست إلا وجوهاً عديدة لكائن بائس لا يحتمل التكاثر. فالإنسان لا يتمايز عن غيره إلا بوعيه، فان تماثل الوعي البائس وتساوى، تماثلت الشخصيات. فكل الشخصيات متساوية ومتماثلة ويمكن ردّها كلها إلى نموذج اجتماعي واحد. وبالتالي يصح القول، أن كثرة الشخصيات في الرواية هي "كثرة تتعدد ولا تتنوع... فهي تتشابه إلى درجة التماثل والتطابق، في فقرها وظروفها ووعيها البائس ومصيرها وزمانها الآسن، حتى لتبدو وكأنها مرايا متعددة مكررة، أو صورا منسوجة عن بعضها بعضاً". ومن ثم، فانها في مجموعها تمثل "نموذج إنساني واحد لزمن عاقر، ودور مغيب، وحركة هامشية في مراوحتها ولا فعاليتها، لا تهزّها العوامل التاريخية إلا لتغرقها أعمق فأعمق في رمالها المتحركة"[١٥].

وإنَّه من الممكن، ببساطة أن نتلمس المشتركات أو أوجه التماثل والتشابه بين تلك الشخصيات، فهي تشترك في كونها بائسة، مهزومة، عاجزة، تلتمس الخلاص من خلال الحلم، وحين يشرع بعضها فعلياً في وضع حد لمعاناتها، لا تحصد سوى الخيبة، فتنغرس أكثر في وحل البؤس والشقاء، وتزداد ضياعاً واغترابا.

ويتجلى بؤس (سليمة) في ما تعانيه من وحدة واغتراب، وحرمان من أبسط مقومات الحياة الإنسانية، فبعد أن انتظرت الزوج طويلاً وصبرت صبر أيوب ولما جاءها الزوج عليوي "قالت هذه فرحة العمر.. زوج عنده بيت وسيارة، وأي قسمة أروع من هذه القسمة؟ ولم تدرِ أنها ستفقده في ساعة مشؤومة"[١٦]. ومنذ أن توفى زوجها قبل ستة أعوام، تاركاً لها بيتاً وابناً من زوجة سابقة بدأت معاناتها. إذ بدلاً من أن يتعهدها ابن زوجها بالرعاية ويعمل لكي يعيلها، صار لزاماً عليها أن تعيله وتعيل نفسها من خلال العمل كخبازة "حبيسة بيتها، تقضي النهار واقفة

على التنور، وتسهر الليل في تحضير العجين، ولا تذهب أبعد من سوق الصدرية، ولا تشم غير رائحة الطولة"[١٧]. ولا يقتصر ابن زوجها (حسين) على إهمالها، واستنزاف ما تكسبه من عملها من دريهمات قليلة، بل يهددها ببيع البيت والتصرف بثمنه، دون التفات لمصيرها "هالمرة يعيرني بحوش أبوه. هاي آخرتها. ست سنين اشتغل وأكسيه وأطعمه، وبالأخير يريد يطلعني من الحوش. أوف!.. مرة الأب مأكولة مذمومة"[١٨]. فهي تعيش حياة قاسية في زمن لا تأتلف معه، حاضره مظلم، ومستقبله لا يتراءى لها أفضل منه، "وفي يوم العيد بكيت لأنني وحيدة... ولأن الشتاء سيأتي قريباً وسأسمع المزاريب وأخاف"[١٩]، وحيدة، متعبة، مقهورة، تفتقد ما يحميها من الضياع والتشرد، وما من سلوى لها سوى مناجاة نفسها، ".. وشعرت بعضلات يديها تتقلص ألماً، وتركت الحطب واستجارت بحصيرتها. وقالت لنفسها (كل الناس بالسطوح) وآني وحدي ألوب... وأيدي يابس عليها العجين، ورجليه حافية!" [٢٠].

ولعل نقطة الضوء الوحيدة في حياة (سليمة) التي اختزنتها بحرص شديد في جزء أمين من ذاكرتها، وظلت أسيرة لها، تستمد منها العزم في مواجهة الخور الذي يتسلل إلى كيانها كلما غمرها البؤس، هي رحلة رافقت فيها زوجها الأول في زورق عبرا به نهر دجلة، ذلك "الزورق الذي عبرت فيه إلى سامراء ذات مرة. هدهدها في رفق على ماء رقراق رأت خلاله الحصى الملّون الذي بدا لها قريباً لا يكلفها إلا أن تغمس ذراعها في الماء وتلتقطه. كان الفصل صيفاً. نزلت من القطار، وصعدت الزورق معتمدة على ذراع زوجها. وجلست في حذر. ثم ما لبث الزورق أن تهادى. فاغمضت عينيها في لذة خائفة، واستمتعت بقلبها يغوص في صدرها ويطلع، وفتحت عينيها على صوت يقول (شوفوا السمج يلبط)! ولكنها لم ترَ السمك، بل رأت مواشير الضوء تحت الماء والحصى. وعجبت كيف تنفذ الشمس في الماء، وقالت (قادر على كل شيء قدير، ويكولون السمج ليش عنده عيون) وزايلها خوفها وهي عند الجرف، ولم تشعر بعد بقلبها، بل بذلك الاسترخاء الحلو، ودت لو يعود بها الزورق. ومشت على أرض هشة. وعبق الشاطيء برائحة خيار، وفاصوليا خضراء، وركبت السيارة إلى سامراء"[٢١]. ثمة في هذه الصورة – الذكرى أفق واسع مضيء، صيف، وشمس ونهار، وماء رقراق، وزوج حان يرعاها، ولذة، واسترخاء حلو، وشاطيء أرضه هشه يعبق برائحة الخيار. أفق واسع تتحرك خلاله بوسائل

عديدة، بعضها بدا لها عجيباً؛ قطار، زورق، سيارة. بهذه الصورة – الذكرى المشرقة كانت (سليمة) تستجير لمواجهة حالة الاغتراب التي تتسلط على حاضرها.

يشعر (حسين) وكأن الزمن قد غدر به، ابتلع ماضيه، أحلى أيام عمره، طفولته وما كان يمكن أن يتمتع به من هناء وسعادة في ظل رعاية أمه وأبيه. أما أمه فانه لا يتذكر منها شيئاً، وأما أبيه فانه كان لا يحمل أية فكرة واضحة عنه. ذات يوم عاد من المدرسة فقيل له إنَّ سيارة أبيه اصطدمت واخترقت دكان حلاق فقتل. ولم توافق زوجة أبيه (سليمة) على اصطحابه معها إلى المستشفى. وعندما جُلب جثمان أبيه إلى البيت خاف أن يراه، "سمع من طرف أذنه أن وجهه مشوه. وانطبع ذلك في ذهنه فمحا كل ذكراه القديمة". وكان أبرز ما مكث في ذاكرته عن هيئة أبيه (ملابسه الدامية) التي رآها في اليوم التالي، صدفة، ملقية في معلف متهدم في (الطولة). ولهذا عندما كان يحاول استرجاع ذكرى أبيه في مخليته لم يكن يستطيع استحضار صورة وجهه، وإنما فقط ملابسه الدامية في معلف خرب، بل حتى عندما كان يتراءى له أبيه في الحلم "كان لا يحزره بنفسه، بل يقال له: هذا أبوك. كان يرى وجهه أسود غامضاً بينما يرى بوضوح قامته القصيرة، والقميص الأزرق المدمى فيحس بالخوف منه. كان يبدو قاسياً وغاضباً من شيء ما، وبلا عاطفة أبوية نحوه، كأنه شخص غريب فرض أنه أبوه"[٢٢].

وهكذا قُدّر لـ(حسين) أن يصحو، أو ينتبه إلى نفسه يوماً، ليجد أنه شاب، دون أن تكون له فترة صبا أو طفولة، وذكريات سارة بهيجة عنهما. يعيش مع زوجة أبيه (سليمة)، التي لا تكف عن مطالبتها اياه بأن يكون في مستوى المسؤولية التي صارت على عاتقه، فيبحث عن عمل يوفر لهما معاً مورداً يعيشان به، وفي الوقت نفسه يواصل تعليمه، ولعل الحوار الآتي بين (حسين) و(صاحب أبو البايسكلات) يبين لنا كيف أن (حسين) وجد نفسه يوماً، فجأة، (رجلاً)[٢٣] يتحسَّر على حرمانه من لهو الطفولة، ففيما هو ينظر إلى احدى دراجات (صاحب)، ويتعجب كيف ماتت لديه تلك الرغبة، الشبيهة بالادمان، في ركوب الدراجات، ويقول، وكأنه يتابع سلسلة أفكاره:

– " اش گد چان يعجبني أركب بايسكل!

– وهسه؟ سأله صاحب..

- كل شي ميعجبني.. كبرت بالعجل.
- چبير.. لو ما مرة أبوك چان أخذوك جنديه"[٢٤].

وبعدما التقى بـ(تماضر) واستحوذ عليها، صار يكرر مع نفسه القول: "كبرت بالعجل وصار عندي مرية"[٢٥]، هكذا، وعلى حين غرة، انتبه (حسين) إلى أن من حوله من الناس، لاسيما الذين يحتك بهم بشكل مباشر – صاحب، وزوجة أبيه، يعدونه رجلاً، فيما هو تغمره الحيرة في حقيقة مكانته، يفتقد التآلف مع البيئة التي تحيط به، فهو في اغتراب، إزاء ما حوله، وبالأخص إزاء زوجة أبيه، التي يتحيّر في تحديد ماهية علاقته معها، وتتنازعه مشاعر متناقضة نحوها. فهو يستنزف موردها الضئيل، ويحاول أن يخدعها، بل ويسرقها، ويهددها بحرمانها من البيت الذي أورثه اياه أبيه، يقابل رعايتها له بالجحود:

- "الدرهم اللي تاخذه كل يوم ما يكفيك.. والمرگه والتمن اللي تتغدى بيها وتتعشى متشبعك.
- عابت ذيجي المرگه.. مرگه المگادي.
- وعيني اش جابك عليّ؟ أبوك لما مات خلاّك وكيل عليّ؟
- هذا الحوش ملكي"[٢٦].

إلا أنه بعد أن ينفّذ تهديده ويبيع البيت، ويأتي ليأخذ أغراضه لا يلبث أن يشعر بتعاطف معها، وندم على غيابها عن حياته "وشعر بموجة واهنة من العطف نحوها. قال في نفسه: مسكينة كانت تتعب كثيراً، وتقف وراء التنور ساعات، وفي الليل تستيقظ مرات. كانت تلهث لتطعمه. وكان هو لا يتعب ولا يشقى مثل شقائها.. مسكينة قالها لأول مرة في حياته. وسأل نفسه: لماذا لم يرَ كل ذلك من قبل؟ لماذا فعل هكذا؟"[٢٧]. ويمضي للبحث عنها، ويحاول إقناعها بأنه سيسترجع البيت ويرجوها أن تعود، وليسألها أن تغفر له طيشه ورعونته.

إنَّه إنسان بائس، ضائع، لا يعرف من هو، وما مكانه في المجتمع، وماذا يجب أن يفعل، وأي مسلك يسلك. يحاول أن يثبت للآخرين، وربما لنفسه، انه رجل من خلال التغرير بفتاة غريبة (تماضر) فرَّت من أهلها لأنهم أرادوا إرغامها على الزواج من رجل عجوز. إلتقاها

أمام (سينما الرافدين)[٢٨] فأوهمها بأنه يعمل نجاراً ويستطيع أن يؤمن لها العيش والسكن بحيث تكون بمأمن من خطر قتل أهلها لها، ومن ثم فقد استحوذ عليها واتخذها عشيقة. وفي الوقت الذي أوهمها فيه بأنه يسندها، إنما كان يحاول واهماً أن يتدارك هزيمته، أن يسند نفسه على حساب هزيمتها واستلابها. ورغم تظاهره بالرجولة إلا أنه لا يقوم بأي فعل ايجابي يرسخ من خلاله رجولته، بعد أن صار مسؤولا ليس عن اعالة نفسه وانما اعالة (تماضر). فيظل عاطلاً، يوفر احتياجاتهما من ما يأخذه من زوجة أبيه وما يسحبه من ما إدخره وأودعه لدى (صاحب أبو البايسكلات). دون أن يفكر بالبحث عن عمل بشكل جدي، "وآني اش عندي بالدنيا... بطرك نفسي.. طير وين ما أوكر أنام"[٢٩]. وفي غمرة هذا الضياع الذي تتسم به حياة (حسين)، ليس هناك سوى (صاحب) الذي هو بمثابة السند الثابت الآمن الذي يلجأ إليه، ويثق به، ويأتمنه. ولعل الحوار الآتي يكشف لنا حرص (صاحب) على محاولة إنقاذ (حسين) من أزمته، وضياعه، واغترابه:

"صاحب:... چنت أريدك تجمع وتكمل دراستك... وأنت صرت رجال، الله يرحم أبوك چان يريدك تطلع دكتور.

قال حسين بسخرية:

- راح أطلع دكتور من التنور.. بيض بليّه گشور.

قال صاحب وكأنما لم يسمع كلامه:

- بلاكت صار لك شهر وانت تجر بفلوسك، ووين كلامك.. ورا الصيف أگعد بالمدرسة.
- أبو مهدي.. الصيف بعد ما خلص.
- راح تخلص فلوسك قبل ميخلص.
- البركة بالحجية – يقصد زوجة أبيه – قابل راح تظل ممددة عالحصير كل عمرها؟.. آخرتها ترجع.
- ان شاء الله مترجع.. هذا أحسن لمستقبلك.

فلاح الضيق في وجه حسين:

- أبو مهدي يا مستقبل؟.. المستقبل راح من مات أبويه.
- لا، اذا دخلت المدرسة ما يروح.
- واذا نسيت القراية والكتابة؟ ست سنين مو قليلة.
- تذكر بالعجل.
- واش تريدني أطلع؟ محامي لو دختور؟
- على الأقل تدخل مدرسة الصنايع بعد ما تخلص السادس.

فهز حسين كتفيه في ارتياب، وقال:

- هذا عمر

نظر إليه صاحب بعينين شفيقتين، وقال:

- بعدك شاب.
- موت يا زمال لمّا يجيلك الربيع.. ما أريد هالمستقبل.. اريد أعيش اليوم"[٣٠].

إنَّ غاية ما يدركه (حسين) من حياته الضائعة هو: اليوم. فهو قد نسي ماضيه، ومستقبله سُدّ بباب ثقيل مع وفاة والده، وبالتالي لم يبقَ له سوى الحاضر. إلا ان (صاحب) يحاول أنْ يقنعه بأنْ يستمد من ماضيه بصيص النور الذي يمكن أن يستهدي به في حياته الراهنة والمقبلة، من خلال تذكيره بأبيه وامنيته. وكان من الممكن أن يقوم (صاحب) ببعض الدور الذي كان يضطلع به الأب، ويمسك بيد (حسين) ويرشده ويوجهه نحو بر الأمان، لو لم يتم اغتياله على يد الشقي (ابن الحولة)، وبموت (صاحب) انغرست قدما (حسين) أكثر في وحل البؤس وتكرس اغترابه.

وأما (مصطفى أحمد)[٣١] أو (مصطفى الدلال)[٣٢] كما عرفته (سليمة)، فماضيه وحاضره تجسيد للبؤس والتعاسة والضياع في دوامة الاخفاق والخيبة. فالزمان لا يتآلف معه، وهو دوماً في غير المكان الذي يعتقد انه يتناسب مع سعيه وتطلعاته. يطارد، وهو القابع في بؤس الأرض، منذ أن كان فتى في العشرين من العمر، سحابة عالية تلوّح لعينية، آملاً أن يمسك

بها؛ أن يمتلكها، ويسترد من خلالها ذاته المستلبة، المقهورة، ويتّخذ منها حصناً يلوذ به من كل عوادى الزمن، إلا أنه ما أن يكون قاب قوسين أو أدنى من مُراده حتى ينهار السُلّم الذي يرتقي درجاته الأخيرة، فيسقط في اغوار الاغتراب مجدداً. هو "من أصل كوفي جاء إلى بغداد وهو فتى في العشرين من العمر مؤملاً فيها مغنماً، وحياة عريضة. وتقلّب في اشغال شتى، وجاب بغداد ورصافتها وكرخها، ولكن مسعاه كان ينتهي دائماً بالخيبة والخذلان، في اللحظة التي يحسب فيها أن نجم سعوده يوشك أن يطلع، وكانت كل خيبة تترك جراحاً في جسمه وروحه"[٣٣].

لم يكن (مصطفى) إنساناً خاملاً، ولا كسولاً، وإنما كان يقتنص كل فرصة تلوح له لكي يعمل ويكد، بيديه وعقله، من أجل بلوغ المكانة التي يعتقد انها تتناسب مع جهده وكفاءته، فهو عمل "في علوة للمخضرات، وتسلق، من مجرد كاتب يسجل الخضروات، إلى وسيط لا غنى لكل تاجر عنه. ولما أوشك أن يصبح تاجراً رفسه حصان كان يحمل طماطم حتى كاد يفري مثانته، وأصاب الشلل مصطفى فكان يُحمل في نقال. وصرف كل ما جمعه على الأطباء. وقضى مدة من الزمن عاطلاً حبيس البول، محني القامة"[٣٤]. ولم تخمد هذه الانتكاسة جذوة تطلعه إلى ما يصبو إليه، ولم تفتر همته، إذ أنه ما أن اعتدلت قامته، حتى "اشتغل في گراج للسيارات يسجل صناديق البضاعة، ثم دلاّلاً. وفي تلك المدة تعرف على عليوي زوج سليمة الذي كان صاحب سيارة"[٣٥]. ويبدو أنه التقط منه فكرة أن يقود ويمتلك سيارة علّه يجني من وراء ذلك حصيلة من المال يستطيع أن يستند إليها في سعيه إلى الغنى "وتعلم مصطفى السياقة، بل واشترك مع رجل آخر في شراء سيارة عمل فيها زمناً في طريق بغداد – الكويت، وبعدها احتال على شريكه فاشترى حصته، ووضع أول قدم في طريق الغنى. إلا أن النكبات توالت عليه. تصدّت له كوكبة فرسان مسلحة ما بين العزيزية ونقطة الشادي، وأوقفته عنوة، وسلبت فلوسه وفلوس ركابه السبعة، وشقت بالخناجر إطارات سيارته"[٣٦].

ورغم ذلك لم يستسلم (مصطفى)، ولم تثبط هذه (النكبة) من همته، بل واصل العمل بمثابرة وعزم. إلا أن النوائب تارة أخرى، كانت له بالمرصاد، إذ غطست سيارته، في أحد أيام الشتاء في الوحل قرب (ديالى)، وفيما اختار الركاب ترك السيارة واللجوء إلى أقرب مكان

مأهول، خشية أن يجمد البرد أوصالهم أصّر (مصطفى) على "أن يبات في سيارته، وقضى ليلة ليلاء في العراء الزمهريري حتى أصيب بالحمّى، ثم بالتيفوئيد، وباع السيارة بثمن بخس"[٣٧]. فمكث مدة عاطلاً عن العمل، استجمع خلالها قواه، ساعياً إلى معاودة جهوده من أجل بلوغ هدفه المنشود بعزم واصرار، فتيسرت له فرصة العمل "عند الانكليز سائق لوري. وهناك ذاق الويسكي، وطعم المعلبات يشتريها من الجنود الانكليز المفلسين حتى ظفر به ضابط محملاً بالمعلبات حمولة تكفي سرية كاملة من الجنود فطُرد، وعانى البطالة مرة أخرى"[٣٨]. حياة شاقة حافلة بالنكسات والاحباطات، واجهها (مصطفى) بالاصرار على النجاح، والسعي إلى وضع الأمور في نصابها، والتخلص بالتالي من تداعيات الاغتراب الذي خيّم على حياته، ولكنه مع ذلك لم يجنِ في آخر المطاف سوى الخيبة والوحدة وديمومة الاغتراب – "ما مستقر بالدنيا. واشلون استقر وآني غريب بهالولاية.. اعيش خمسين سنة وآني بلا أهل، مقطوع من شجرة، لا عندي بيت اسچن بيه، ولا گرايب أروح يمهم.. أركض مثل حمالة الحطب وشِم حَصل؟.. أبداً.."[٣٩].

وليست (تماضر) أقل بؤساً وشقاء من شخصيات الرواية التي تحدثنا عنها، ولا هي أقل معاناة من شتى أنواع الغربة أوالاغتراب. فقد تلاعبت بها الأهواء والظروف، منذ أن كانت صبية بريئة فقيرة حلوة، ولكنها لا تستطيع أن ترى حلاوتها لأن بيتهم لا توجد فيه (مرآة)، كثيراً ما كانت تختلي بنفسها لتنسج من أحلامها صوراً ملونة لمستقبل زاهر تتوق إليه، شأنها شأن الصبايا اللواتي في عمرها، فتدخل المدرسة وتصير (مكتبلية)، وكم كانت "تحب الوقوف في عنق الزقاق ساعة خروج الطالبات من مدرستهن لتختلط بهن، وتشم رائحة عباءاتهن، وتشعر بلذة لمجرد التخيل بأنها واحدة منهن قائلة لنفسها (يعني شكو فرق بيني وبينهن؟.. قابل كلهن بنات الشابندر؟ ماكو وحده أبوها عطار، نجار، رگاع.. زين أكو بنات يلعبن النفس، لو مصوبات لو وجهن مرگع، لو عيونهن مثل عيون الجريدية، وآني عبالك مدامه، لو أكبر أسبي الناس سبي"[٤٠]. ولكن أنّى لها أن تنال ما تتمناه، فيما الفاقة والعوز ينخران كيان اسرتها، ويأبى أباها (العطار) إلا أن يجعلها سلعة يُبادل بها (الدبس) و(الدهن) الذي يعتاش على بيعهما. فما أن شبّت حتى جاءها أبوها يوماً يبلغها أنه عازم على تزويجها من رجل من أهالي (العمارة) يمتهن

تسويق (الدبس) و(الدهن). وحين أظهرت فتوراً ازاء ذلك، أخذت أمها تلح، وأبوها يهدد، وفي المساء عندما عاد الأب من (دكانه) قال لها باصرار: "تروحين للعمارة حتى لو شدياج من ايديج ورجليج.. ش تريدين أحسن منه؟ صايم مصلي، وحوشين بالعمارة وتجارة، وأبوچ گضه عمره نِزل. ولو ما هوّه چان آني من زمان عزّلت الدكان. اشو الدنيا قحط، وكل شي ماكو.. ويعني أنت ش تريدين؟ مودلي؟ ويا مودلي يقبلچ وانتي بنت عطار تنكاته كلها فارغة بطرگ لسان الثور وخوبة عجم؟!"[٤١].

أين هذا المصير الطاريء، التعس، من الصورة الوردية التي كانت قد رسمتها في مخيلتها لحياتها ومستقبلها؟ وكيف يتسنّى لها أن تأتلف مع عالم غريب عن إنسانيتها ولم يخطر لها على بال؟. وصعب عليها أن تتصور أنها "ستقضي العمر كله مع ذلك العجوز الملتحي القادم من بلدة جنوبية"[٤٢]. وفي اليوم التالي جاء الخطيب، وحاول أن يخفف من وطأة انزعاجها من ابتعادها عن أهلها كما بدا له فقال: "جا هيّ العمارة وين؟! بتلفات الدنيا؟ والسيارات رايحة جاية؟"[٤٣]، إلا أنها لم تطق لهجته ولا صوته. "ونفرت من عباءته وعقاله ووجهه المحروق عليه لحية تخيلتها قذرة"[٤٤]. وفيما تظاهرت بالقبول، قررت في نفسها أن تجد حلاً يخلصها من مأزقها ويلقن أهلها درساً على استرخاصهم لها. وبعد يومين، أثناء حضورها (حفلة ختان) على مقربة من بيتها، نفذت قرارها بأن "تنتقم من نفسها ومن أهلها فانسلت من الحفلة على غفلة من أمها، وخرجت من حيها"[٤٥]. وكانت عازمة على أن تنتحر بإلقاء نفسها من على الجسر في النهر[٤٦]، ولكنها عدلت عن ذلك وقادتها قدماها إلى (سينما الرافدين)[٤٧]. حيث التقت بـ(حسين)، الذي ما أن أدرك ظروفها حتى استحوذ عليها بسهولة، وهكذا انتهى بها المطاف في غرفة حقيرة، خالية من الأثاث، في محلة (كم الارمن) خلف السدة الترابية، لا تخطر على بال أهلها، وتكون فيها بمنجاة من مطاردتهم.

ومكثت في تلك الغرفة، تنتابها الهواجس تارة، "ميجوزون مني (أهلي) إلاّ يقتلوني"[٤٨]، وتارة أخرى تجتر معاناتها الشديدة من الوحدة والاغتراب "كانت تشعر بأن كل شيء في غير موضعه الصحيح، وبأنها ضائعة"[٤٩]. تتوجس خيفة مما يُخبؤه لها المستقبل من أيام أكثر تعاسة "أين تولي وجهها...؟ مَن ادراها بان حسين سيظل معها إلى الأبد...؟ ماذا

ستفعل؟ تقف مرة أخرى على باب السينما لتلتقط رجلاً آخر؟"[٥٠]. تلوح لها حياتها أشبه بطريق طويل يخيّم عليه ضباب كثيف، فلا ترى منه سوى ثلاثة معالم شاخصة، بارزة "عندما چنت بنية چنت اسوى كل شيء. ولما كبرت خطبني بياع دبس ودهن بالعمارة، وهسه رفيجة واحد ما أعرف إلا اسمه"[٥١].

ويمكن القول، أن الشخصيات الأخرى – الثانوية، في الرواية لاسيما ساكني (الخان): مرهون السائس، وحمادي العربنجي، وزوجته رديفة، وأسومة العرجة، والعوانس الثلاث – تسواهن، وخديجة، وأميرة، وفتحية أم الباقلاء، ليسوا أقل معاناة من الفقر والبؤس، والشقاء في كدهم من أجل لقمة العيش. إلا أن الهم الذي يؤرقهم ويقلقهم على الدوام هو الخشية من إقدام (الحاج أحمد آغا) – صاحب (الطولة)، على بيعها والتخلص منها، إذ بدا لهم أن زوالها يمكن أن يخل بنظام العالم الذي وعوه، وكأن مصيرهم واستمرار وجودهم مرتبط ببقاء (الطولة)، وبدونها يزدادون انغماراً في دوامة الضياع والاغتراب. ففي أحد الأيام لاحظت (سليمة) جمعاً من النسوة يتحادثن، فيما يتوسطهن مرهون السائس، باركاً على الأرض ويبدو حائراً، فسألت:

" – خير ان شاء الله؟

ردت إمرأة عليها:

- عيني، الدنيا خربت.
- شكو؟ اش صار؟
- بعد كل شي يصير.
- يمه تگولي.. شكو، اشصار؟
- حاج أحمد آغا باع الطولة.
- و إلويش؟.. سألت ببرود وكانت عينا مرهون الحزينتان تتضرعان، فاضافت:
- يعني، إش وازاه؟

....

وقالت أسومة العرجاء:

– اشو الطولة من آني انخلقت موجودة.. عيني من يذكر على طولة حاج أحمد آغا"[٥٢].

والواقع، ان هذا الحدث قد هّز سائر سكان (الخان)، إلا أن مرهون السائس كان الأكثر تأثراً به، وعندما حاول حمادي العربنجي أن يواسيه قائلاً:

"– ميخالف، ابن الحجية.

قال مرهون بصوت مفجوع:

– اش ميخالف؟.. كل شيء عالبال.. بس حاج أحمد يبيع الطولة.. ما چان عالبال."

ثم يستطرد مخاطباً مرهون قائلاً:

– "انت عربنجي، وصنعتك بيدك. بلاكت آني وين أروح؟"

ولا تجدي كل محاولات حمادي للتخفيف من وطأة الحدث على مرهون، فهو لا يريد أن يقتنع بكلامه؛ لأن (الطولة) كانت "قطعة عمره، كانت بيته ومأواه ومملكته"[٥٣]. لقد كانت هذه القطعة المستطيلة من الأرض، المسورة بصفائح نخرة، المكشوفة للحر والبرد "كانت مأواه، وشاهد أيامه الماضية. جاء إليها حين كانت الحياة ربيعاً، والطولة في سامق عزها. وكان مثل سلطان على مملكة.... وكانت الدنيا غير الدنيا، والناس غير الناس، وللفلس قدره.... ثم جاءت الحرب، وهزت كل شيء من الأساس،... والآن يأتي يوم القيامة..."[٥٤].

وعندما اختلى بنفسه راح يخاطبها بحسرة:

" –... الطولة انباعت، والحصونه والعربانه راح تنباع.. بلاكت انته يا بن الماكلها الدود من يشتريك؟

وصمت لحظة وكأنه يفكر في الشاري. وخاطبه هاجس في داخله:

– هَمْ اكو!

– منو؟

وسمع الهاجس يقول:

- الموت.. أحسن مشتري.
- أيه، ميخالف.

وتنهد مرهون متحسراً، فقال له الهاجس:

- على ويش دتتحسر؟ إش عندك بها الدنيا حتى تتحسر عليها؟ خايف تفارگها؟ ماما، بابا؟ ولد تلد؟ خلگ دشداشة تلفها على بدنك وتنام، وذيچي النومه.
- أي هذا هم نصيب"[٥٥].

أما (خيرية – الحكومة الله يسلمها) كما اعتاد سكان (الخان) على تسميتها، زوجة (رزوقي)، فانها تعيش اغتراباً اجتماعيا وسياسيا. إذ على الرغم من كونها تشارك سكان (الخان)، بل وسكان المحلة كلهم حياتهم البائسة، إلا انها تحاول دوماً أن تنأى بنفسها عنهم، فهي تتخذ من (الحكومة) موقفاً مخالفاً لموقفهم، معربة باستمرار عن رضاها عنها، والتفاخر بانجازاتها الرائعة، لا لشيء سوى ان زوجها، الذي يعمل في دائرة حكومية، اختاره مديرها ليكون (الفراش) الخاص لمكتبه، فيتصدق عليه أحياناً ببعض الفُتات. فهي تتحدث عنه، متباهية بكرم أخلاقه، قائلة:

"أگولها وآني صايمة الله يرضه على ذاك المدير.. صايم مصلي.

واشلون.. يداري رزوقي! يعزه ويكرمه. وميشرب گهوه اذا

ميشربه وياه. والاكل؟!.. عيني الأكل! هالبايسكل

شاهد عليه. چان رزوقي يجيب له عالبايسكل من بيتهم...

بالعلوازية.. محلة محتشمين. والأكل

مالهم خوب مو مثل أكلنا خبز وبصل. لا، عيني، تمن ودجاج.

واحنا نطي البرتقال للوجعانين مثل الدوه وهمه البرتقال والتفاح والعرموط ياكلوه مثل متكرزين الحب. وكل شي چان يطعموه لرزوقي..."[٥٦].

فتلك الفُتات التي كان يتفضل به المدير على زوجها جعلت (خيرية) تنسى، أو تتناسى، أو تغض النظر عن كل ما يحيط بها في (الخان) من فقر وحرمان وبؤس، وعن أسبابها. وتتراءى لها الدنيا على أحسن حال، بفضل الحكومة. وحين تبدي (سليمة) عن دهشتها مما رأته في شوارع (ذاك الصوب) عندما ذهبت إليها، قالت لها (خيرية) بتفاخر:

"– أي، عيني، الحكومة الله يسلمها خوب مو مقصره؟ واحد يحچي الحق. هالجادات العريضة، والقصور الحلوة، والحدايق اللي ترد الروح، والسيارات..."[٥٧].

وحين امتدحت سليمة (الصمّون) وعدّته ألذّ من الخُبز، صدّقت (خيرية) على كلامها قائلة:

"– صدگ. رزوقي، الله يسلمه ما ياكل إلا صمون. والمدير ماله، ذاك المدير الجمّار اللي الله يرضى عليه ويفتح له قصر بالجنة، ما ياكل إلا صمون.. أي، عيني، الموظفين ما ياكلون إلا صمون".

ثم لا تلبث ان تستطرد قائلة:

"– إي، عيني، الصمون للمحتشمين. احنا موظفين ونعرف.. الحكومة الله يسلمها تسوي ميتين فرن، ولا تسوي تنور واحد"[٥٨].

إن اغتراب (خيرية) يتجلى ليس في واقعها البائس، وإنما في وعيها البائس أيضاً. هو بائس إلى حد انه يتقبل كل ما هو سقيم، معوج، كالح، فيعكسه صحيحاً، مستقيماً، ناصع البياض، ولأجل ماذا؟ بعض الفُتات، وملاطفة زائفة مزعومة، بدت لها كافية لكي تقلب كل الموازين، وتشذ عن المألوف، وتكذّب ما تُريها عيناها من عفونة، الأمر الذي يجعل (صاحب أبو البايسكلات) يجازف وينهرها على مسمع جمع من أهل المحلة قائلاً: "متسكتين، حكومتچ مثل طولة حاج أحمد آغا جايفه يرادلها شلع من الأساس.. لتخلينه نحچي ويعتبرونه نازيين!"[٥٩].

وكما ذكرت سابقا، إننا يمكن أن نلاحظ أن هناك العديد من المشتركات أو أوجه التماثل والتشابه بين شخصيات الرواية ربما بتأثير الظروف المتماثلة التي تتحكم بحياتها وتسيّرها.

ومن بين تلك المشتركات، أو أوجه التماثل والتشابه بين شخصيات الرواية بحثها عن حلول لبؤسها وشقائها، وتطلعها إلى أن تعيش حياة أفضل تنسجم مع متطلباتها وآمالها، حياة تجد فيها ذاتها، فتتخلص من اغترابها. ولا تجد سبيلاً إلى ذلك سوى (الحلم). فسليمة (تحلم) في أن تسترد انسانيتها المستلبة، تحلم في أن تتخلص من مشاق الوقوف لساعات طويلة أمام التنور "الناس كلها نايمة... آني وحدي گاعدة، والنهار كله راح اوگف على رجلي.. وين الله ويسويها!.. أنام للضحى وتجيني الفلوس،.."[٦٠]. تنام مرتاحة "نوم المحتشمين"[٦١]، وتأتيها الفلوس الحلوة، وتملك الذهب وتعيش بهناء ورغد[٦٢]، وتستقر، مواصلة حياتها في رعاية زوج يخلصها من وحدتها، وينسيها همومها، وتشعر في كنفه بالأمن والادمان[٦٣].

ويحلم (مصطفى) في تدارك اخفاقاته واحباطاته السابقة، والحصول على المال والأملاك، من خلال مشروع جديد دلّه عليه عمله مع الجيش البريطاني: المتاجرة في السوق السوداء بمخلفات المعسكرات البريطانية، تجارة رابحة لا تكلف، حسب اعتقاده "غير رأسمال متواضع، واستخدام ذكي لبعض ذوي الصلات والخبرة بالجيش الحليف"[٦٤].

فهو (يحلم) في أن يبدأ من جديد، ويؤمن إيماناً راسخاً في أن مشروعه الآتي سيتكلل لامحالة بالنجاح، ويجني من خلاله الثروة التي طالما حلم في امتلاكها ".. خلي أبدأ من جديد، واشتغل بعقلانية، وما خليها تفوت مني، ايه يا دنيا آني إلچ!"[٦٥]. وهو سيحتاط هذه المرة ويحرص أشد الحرص على أن لا يفشل "هالدوره هم تفلت؟.. هالدورة اعضها بسنوني.. هالدورة أريد أطلّع حگ الرفسة، التسليبة، وكل سنين القهر.. بس عاد.. ييزي قهر.. صار لي عشرين سنة أدگ.. وكل شيء ممحصل.. لا بيت ولا مرية ولا فلس جوه المخده. والدنيا مال فلوس.. صدگ اللي ما عنده فلس ميسوه فلس.. ومحد ينفع بالدنيا مثل متنفع الفلوس... ظلت عليّ.. آني المنكوب بنطروني!.. ييزى.. ييزى قهر.. خل أدخل وياهم.. وچم واحد اغتنى منهم؟ ياما سوو بيوت"[٦٦].

ويحلم (حسين)، هو الآخر، في الحصول على المال، بأية وسيلة كانت، سواء بسرقة ما تكسبه زوجة أبيه من عملها كخبازة[٦٧]، أو محاولة سرقة مدخراتها[٦٨]، أو محاولة سرقة ما

أودعه (مصطفى الدلال) في إحدى حجرات بيته من أشياء ومقتنيات، أو حتى بيع البيت الذي أورثه أبوه له[٦٩].

فهو مستعد لأن يفعل كل شيء، من أجل أن يُثبت لـ(تماضر) أنه رجل، وانه قادر على أن يفي بمتطلبات حياتهما معاً، وان يقدم لها ما تريد من هدايا[٧٠]. فهو "من أجلها يكسر اقفال الحجرات. من اجلها يبيع الحوش، من أجلها يفعل كل شيء. الملعونة حلوة. تستاهل كل شيء"[٧١]. وعند حصوله على المال، فإن بامكانهما، وعلى حد تعبيره "نعيش بسلطنه. نوفي الكمبيالات للخالة نشمية، ونشتري غراض وهدوم، والبقية نخليها بالبنك..." [٧٢]، وبذلك ستعيش معه حياة سعيدة ومرفهة[٧٣].

والواقع، أن حلم (حسين) لا يقتصر على ذلك فقط، وإنما يشمل أيضاً أن يثبت لصديقه المؤتمن (صاحب)، بل ولنفسه، بعد مقتل صاحب، انه قد كبر وصار رجلاً يُعتمد عليه، وقادر على الذود عن نفسه، وعن كرامته، والدفاع، بل الثأر لأصدقائه الاثيرين. فهو حالما سمع بمقتل صاحب على يد (ابن الحولة) اعتمل في داخله حنق تجاه ابن الحولة "يطبر الناس ومحد يگدر عليه. صاحب يموت ويروح دمه هدر.. صاحب الوردة.. صاحب اللي چان يريد يگعدني بمدرسة الصنايع.. صاحب مثل أبويه"[٧٤]. وبدا له ان حادث مقتل صاحب يستفزه هو بالذات، فمن لصاحب سواه، وسرعان ما قرر أن ينتقم له، وأن يثبت أن صاحب كان له أصدقاء أوفياء، محترمون، بل يفرضون احترامهم على الآخرين، ومضى يبرر مهمة الانتقام التي قرر أن يقوم بها "... الناس تگوم وتحترمني وتخاف مني.. الدوره أعيش سلطان.. چم واحد إبغداد يعيش بالخدة؟ وچم واحد السچينة توكله لگمته وأكثر؟ والدنيا تايهه.."[٧٥]. فمن خلال الوفاء لصاحب، والانتقام له، والركون إلى السلاح، بدا له، أو حلم (حسين) في أن يكون رجلاً يُعتد به.

و(تماضر) هي الأخرى تحلم في أن تجد الأمان والضمان في كنف (رجل) ناضج مقتدر، تعيش معه بقية حياتها، إنسان تفوح منه رائحة الرجولة. ولقد بدا لها (علوان المضمنجي) تجسيداً مناسباً لما تحلم به، فالبستان الذي يُضمّنه، مناسب لأن تمضي كل حياتها فيه "لو عندي مثل هذا هالبستان چان گضيت كل عمري بيه"[٧٦]. كما أنه كلما اقترب منها (عمران)

كانت تشم في أنفاسه رائحة التبغ، التي ارتبطت في ذهنها ومخيلتها، منذ طفولتها، بالسطوة والاقتدار والرجولة "كان أبوها يدخن... وكانت رائحة التبغ تفوح من فمه وملابسه، عندما كانت طفلة كانت تتلذذ بها، وعندما كانت صبية كانت توحي لها بالرجولة". والآن وهي جالسة بقرب (عمران) تشعر بـ"رائحة التبغ مرة أخرى إلى جانبها"[٧٧]. وبالتالي فإنها إزاء ما تعانيه في عيشها مع حسين من قلق، وتوجس، وضياع، واغتراب، تحلم في أن تطيح بكل ذلك من خلال الاستسلام لاغراءات (علوان) والركون إلى ما يُبشّر به، وهو الرجل الذي يفوح منه عبق الرجولة، من ضمان وطمأنينة وأمان.

و(رديفة) إحدى ساكنات (الخان)، زوجة (حمادي العربنجي) هي الأخرى تحلم. وحلمها يكاد أن يكون حلماً عاماً مشتركاً يشمل كل سكان (الخان)، بل كل سكان (حي الصافن). أن رديفة، التي تعرضت هي وأسرتها لشتى النوائب والمحن، أصابها من جراء ذلك ما يشبه الشلل. فمياه الأمطار غمرت المحلة التي تسكنها، وامتلأت أرض (الخان) بالوحل، وزوجها (حمادي) مضى عليه شهر وهو مريض، راقد في الفراش بلا عمل، ولا مورد، سوى (الدرهم) الذي يعطيهم اياه (صاحب) كل يوم. وتنظر (رديفة) إلى زوجها بلوعة "وقلبها يتمزق. كانت مرتبطة به بالحاجة، بالحب الذي هو وليد الحاجة، وبالرضا بما هو مكتوب"[٧٨]. ولا تملك سبيلاً، إزاء ذلك، لمواساة نفسها سوى أن تحلم "وقالت وكأنها تحلم:

- كل شي ينفرج – واعجبها هذا الخيال فتابعت قولها – كل شي يصير زين....
- كل شي يتعدل – كانت تحاول أن تهتدي إلى تعليل للجملة التي ورثتها عن سابع ظهر
- ما راح تبقى الدنيا هيچي. باچر عگب باچر ما نشوف إلا الباب تندگ. أصيح من مكاني: "منو يدگ الباب؟" أسمع واحد يكول: "آني فارس الفرسان!" واطلع واشوف گدامي فارس حلو وجهه عليه نور، راكب على فرس شهبا نظيفة تلمع، عبالك نازلة من السما. اگول له "عيني شتريد؟"، يرد عليّ "منو محتاج عدكم؟" اگول له "إحنا.. عيني، إحنا. الشايب صار له شهر نايم بالفراش"[٧٩]. ليس غريباً أن يعتمل هذا التوق إلى الخلاص من خلال الحلم في دخيلة (رديفة)، وهي التي تتطلع إلى ما حولها فلا ترى إلا البؤس والفقر والحرمان،

والناس من حولها مستلبون، مقهورون، مغتربون عن انسانيتهم بكل المعاني، لا أمل لهم في الانصاف، لأنهم نسوا ما يعنيه الانصاف، أو بالأحرى أن الانصاف قد نسيهم.

أما (حمادي) زوجها، الذي أوهنه السُقم، فان أول ما يخطر بباله، بعد أن نهض من فراش المرض، هو أن يحلم بنفسه جالساً على مقعد وراء حصانين مطواعين في يديه، مستكينين إلى جذبات الرسن الخفيفة، يخبان في شارع عريض مستقيم، وهو لا يتردد في البوح بحلمه إلى زوجته رديفة، قائلاً:

"– رديفة، تعرفين إش مشتهي؟

– شمشتهي؟

– حصان!..

لاحت خيبة الأمل على الوجه المنغولي المستدير وقالت رديفة بضيق:

– يا حصان اگشر!..

– حصان اشده على عربانه، واخليه يسرح على كيفه. واسمع حس حوافره عالجادة.. أحسن خلخال.. رديفة، أنت متعرفين أشلون مزيقة تطلع.. چراق چرقوق.. چريق چراق چرقوق.. وانتِ راكبه وراه، وبيدچ الرشمة.. أو وين متجريه يجي بيدچ.."

وعندما تؤنبه على شدة تعلقه بالحصان، بل وتفضيله عليها، يقول متأففاً:

– "رديفة لتغثيني. هذا أول يوم اشيل راسي من المخدة، وگلبي محروگ على حصان وعربانه"(٨٠).

ثم لا يلبث أنْ يستطرد قائلاً: "رديفة، لتزعلين. حياتي كلها كضيتها ويه الحصونة. كبل ما أتزوج جان الحصان دِيني وإيماني. من آني جاهل أركض ورا الحصان. أبوية مجاري!..."(٨١).

بعد أن نخر الحرمان أركان عالمه، وبعد أن استحالت حياته إلى أحلام مستحيلة، تقلصت الآمال لديه واختزلت إلى صورة مشرقة واحده برزت من بين الركام، ولازمته طوال

حياته، لمس فيها التآلف والوداعة، إلا أن تجسيدها ظل عصياً عليه، فلم يملك بالتالي سوى أن يحلم بها، ملتمساً في الحلم شيئاً من السلوى والمواساة.

ومن بين المشتركات، أو أوجه التماثل والتشابه بين شخصيات رواية (النخلة والجيران) أيضاً، انها في سعيها إلى الخلاص من دوامة الاغتراب التي تعصف بها، سواء من خلال الحلم، أو من خلال الشروع فعلياً في ايجاد حل ينقذها مما تعانيه، فإنها لا تحصد سوى الفقدان والفشل والخيبة.

فسليمة الخبازة تستسلم لمحاولات (مصطفى الدلال) والصورة الزاهية التي يرسمها لحياتها إذا ما منحته الفرصة وسلمته ما ادخرته من دنانير "إذا عندچ ثلاثين دينار، هسة اسويچ شريكه ويه واحد ارمني، عنده احسن فرن بذاك الصوب"، وبعدها "تنامين للظهر وتجي لچ الفلوس الحلوة.."[٨٢]. وسرعان ما تصحبه الى (ذاك الصوب)، وفي غرفة ملحقة بفرن (الصمون)، تسلم مصطفى بحضور (خاجيك الأرمني) الثلاثين دينار، ويكتب لها مصطفى (وصلاً) [٨٣]، بعدها تتوقف عن العمل والوقوف أمام التنور، وتمكث منتظرة أن ينهال عليها ما وعدها به مصطفى من الخير. ولا تلبث أن تكتشف أنه قد احتال عليها[٨٤]، وان كل الآمال والوعود الزاهية التي رسمها لها كانت خداع، وان الدنانير التي سلمتها اياه قد تبخرت، فتنفجر في وجهه مؤنبة:

"– من الأول أنت ناوي تلعب عليَّ.. تذكر الوصل اللي كتبته؟

– إي، شكو بيه؟

– اش مكتوب بيه غير بسم الله الرحمن الرحيم؟

– .....

– عبالك ماكو واحد يقرا غيرك؟"[٨٥].

وهكذا لم تحصد سليمة الخبازة من سعيها إلى تغيير أوضاعها سوى الخيبة بل أن الخيبة زادتها يأساً، فصارت "راضية، بكل شي راضية" [٨٦] تراودها الحسرة على حظها الأسود العاثر ".. بس آني حظي أسود وين ما گلّبها سودة مصخمة"[٨٧].

و(مصطفى الدلال)، الذي اهتبل فرصة اهتدائه الى بيت (سليمة)، واحتال عليها ليحصل على الرأسمال الذي يبدأ به مشروعه الجديد بالمتاجرة بالسلع المهربة من مخازن الجيش البريطاني، بمعونة (خاجيك الأرمني) وبعض العاملين في تلك المعسكرات، الذين يهربون له السكائر، والشاي، والسكر، والمعلبات والويسكي سكوتش، فيخبئها في احدى غرف بيت (سليمة)، ثم يبيعها في السوق السوداء، فان آماله عصف بها قرار الجيش الحليف بإخلاء معسكراته في بغداد وتسريح العراقيين العاملين لديه، ومن بين هؤلاء سماسرته (داود، وجاسم، وطه) الذين يعطيهم المال ليشتروا له البضاعة من المخازن، وحين وجد هؤلاء أنفسهم عاطلين عن العمل تصرفوا بالدنانير التي أعطاهم اياها(٨٨). وبالتالي فقد تبخر ما لديه من رأسمال "يعني الخمس دنانير راحت؟.. يعني الـ١٨دينار راحت؟ رأس المال راح... هاي رفسه حصان چبيره! من رفسني الحصان بالعلوة چنت شاب، وقوي. وهسه؟"(٨٩). وهكذا عاد مرة اخرى محبطاً، مستلباً وحيداً بلا خاجيك وبلا مشاريع، وبلا مستقبل، يناجي نفسه "هاي حوبة سليمة الخبازة لو اني حظ ماعندي؟ وين ما وجهها سودة مصخمة؟ عبالي اصير تاجر؟" وحنق على نفسه وخاطبها "بيعار؟ اشلون تصير تاجر؟! والله لتركض كل عمرك والعشا خباز.. والله لتظل متهجول متعرف باچر عندك فلوس الغدا لو لا، لتظل بهالبنطلون الأسود طول عمرك.."(٩٠).

و(حسين)، هو الآخر، في سعيه الى امتلاك المال، عمد الى بيع البيت لكي يتمكن من توفير متطلبات (تماضر) ويقدم لها الهدايا التي رغبت فيها. وبعد أنْ استلم (العربون) اشترى لها ما اعجبه من هدايا وذهب اليها، ولكنه عندما وصل الى الغرفة التي استأجرها لها في بيت (نشمية) فوجيء بعدم وجودها(٩١) وكم حاول وتحايل على (نشمية) لكي يعرف منها الى اين ذهبت، لم يحصل منها على جواب. وعندما عاود الكرة، وسألها اين ذهبت (تماضر)، أجابته بجواب عائم لا يبدد حيرته "ما أدري!.. راحت، شالت... أهلها سمعو وأخذوها، شافت واحد أحسن منك وراحت..."(٩٢). ولما سألها عن الأثاث الذي كان قد اشتراه لها:

"– وغراض الحجرة؟ الكنتور والجربابة؟

– اخذتها وياها.. مالتك؟ احسبها مهر المتعة..."(٩٣).

وهكذا انتبه (حسين) ليكتشف ان محاولاته المستميتة لتحسين أوضاعه كان مآلها الخيبة والفقدان. فهو فقد بيته[٩٤] وصار بلا مأوى، يمضي لياليه على سرير في فندق رخيص[٩٥]، وفقد زوجة أبيه التي تزوجت من (مصطفى)، واضطرت بعد بيع البيت إلى مغادرته فغابت عن حياته[٩٦]، وفقد تماضر "مسكينة تماضر. وين هسه؟ بيا حضن دهورتها نشمية؟"[٩٧]، وما كاد يفيق قليلاً من تأثير هذه الصدمات حتى جاءته صدمة أخرى عندما سمع بخبر فقدانه لـ(صاحب) الذي قتله (محمود ابن الحولة) [٩٨]. فما الذي بقى له في هذه الدنيا بعد كل هذا الفقدان، سوى الشعور بالحسرة ومرارة الخيبة "ظل شي بالدنيا... تماضر وراحت، صاحب وراح، حوش وراح..." [٩٩].

و(تماضر) في سعيها إلى التماس الأمان والطمأنينة، ارتضت في آخر المطاف بان تسوقها (نشمية) إلى (علوان المضمنجي) وتقدمها له سلعة رخيصة، وبذلك انضافت إلى خيبتها مع (حسين) خيبة أخرى أشد وأمر، ذلك انها بعد ان فرّت من أهلها لأنهم أرادوا ارغامها على الزواج من رجل كبير في السن، ينتهي بها الحال إلى أن تفقد ذاتها وترتمي طائعة في أحضان رجل هو الآخر كبير في السن ".. والله يعلم چم ولد عنده. شعره مليان شيب! لعد مو حماره؟ تركضين ورا الرجال"[١٠٠].

ومرهون السائس بعد أن فقد عمله ومأواه مع بيع (الطوله) انتهى به الحال ملازماً لأحد (الجوامع) يتشفع به، لعل طالعه يتحسن وينال ولو بعض ما ناله (حاج أحمد آغا) – صاحب (الطولة)، ولكنه ما لبث أن خاب أمله، إذ تبين له، على حد تعبيره "ماكو فايدة!.. من باع حاج أحمد الطولة كفرت گلت بلكت يصير براسي خير مثل حاج أحمد آغا اللي نهار كله چان يكفر.. ما صار.. گمت أصلي وأروح للجامع.. بلكت يصير براسي خير.. هم مصار"[١٠١]. وهكذا شعر بأنه لم يحصد من الدوامة التي تتلاعب بحياته ومصيره سوى الخيبة والفقدان والمزيد من الخسارة.

وأما (خيرية)، زوجة رزوقي، أو (خيرية الحكومة الله يسلمها)، فانها فيما كانت تتبختر على سكان (الخان) وتتطلع إلى المزيد من الترفع عليهم، بفضل وظيفة زوجها الذي يعمل عند (الحكومة)، فانها هي الأخرى لم تحصد في آخر المطاف سوى الخيبة والفقدان والخسارة،

فقد نقل المدير الذي كان يعمل زوجها (فراشاً) في مكتبه ".. وجابوا له مدير كلب بن سطعش كلب"[١٠٢]. فقد بادر الأخير إلى نقل زوجها إلى شعبة (الأوراق). وما أن بلغها النبأ حتى استشاطت غضباً على (الحكومة) منددة بافعالها (الغادرة)، وصار لسان حالها كلما لقيت جمعاً من سكان (الخان):

"– ماكو بعد (الحكومة الله يسلمها) ماكو بعد حكومة.. حكومة خرگ.. شفت عيني أبو مهدي اشلون نقلو رزوقي من فراش المدير للأوراق؟.. شفت عيني اشلون يخونون بالواحد؟ إشگد داراهم رزوقي؟ چان مقبح ويه كل الموظفين على مود الحكومة.. شفت اش سوو بيه؟ مو طلعوه من باب المدير وخلوه بباب ملاحظ.. لا، عيني، بالأوراق.. ويه الزبل!" [١٠٣].

مما تقدم نخلص إلى القول إن رواية النخلة والجيران انتهت من دون أن تفلح أياً من شخصياتها، سواء الرئيسة أو الثانوية، في إيجاد حل حاسم يكفل لها الخلاص من دوامة الاغتراب التي تعصف بها، بل تظل كل منها تدور مع دوران مسار الدوامة. أي، بتعبير آخر، ان (غائب) يُنهي الرواية نهاية منفرجة، مفتوحة، غير محددة. فبعد أن أشار إلى السبل التي اختارتها الشخصيات لتسلكها في حياتها، لم يوضح، على نحو بيّن ما إذا كانت استمرت على اتباع النهج ذاته، أم انها ما لبثت أن غيرّته واتخذت منحى آخر فتوغل في معاناة الاغتراب والعيش في حالة من البؤس والشقاء.

ولعل من الممكن أن نعزو ذلك إلى رغبة (غائب) في إكمال هذه الرواية بعمل روائي آخر متمم لها، يشتمل على الشخصيات ذاتها؛ ولاسيما الأبطال الرئيسيون يعرض فيه ما آلت إليه مصائرهم. والواقع ان (غائب) قد أشار إلى هذا الأمر في إحدى اللقاءات، مبدياً إهتمامه بمصائر الأبطال، شأنه شأن قرائه المتلهفين لمعرفة النهايات الحاسمة الغائبة، اذ قال:

"أنا نفسي أتساءل ما هو مصير (حسين)؟ بل أنا أحلم وأضع الخطوط الأولية لأكتب عملاً اسميه (حسين وتماضر) أصور فيه هاتين الشخصيتين بعد عشر أو عشرين سنة من نهاية (النخلة والجيران)، كيف تصرفا؟ أين هما الآن في أحشاء المجتمع؟... أتساءل مختلف التساؤلات، فأنا أريد وآمل أن أضعهما في فترة تاريخية معينة وفترة اجتماعية معينة في العراق لأرى كيف يتصرفون في تلك الفترة، وهذا معناه أن مصير البطل لا يزال يهمني. وهذا الاهتمام بمصير البطل دائماً يلازمني، فأبطالي ليسوا أناساً أكتب عنهم ثم أتخلى عنهم، إنهم لا يزالون يعيشون وأحاول أن أجعلهم يعيشون حتى هذه اللحظة لأنهم لم يؤدوا كلمتهم كاملة، ولم يؤدوا حياتهم كاملة، بل هناك أمامهم مستقبل وهناك تغييرات وهناك كل شيء"[١٠٤]. وشاء القدر لغائب ان تبقى نهاية روايته (النخلة والجيران) مبعث تساؤل وتكهنات تبحث عن اجابات مفقودة، اذ كما صارت عودة غائب حلم معلق لم يتحقق صارت مصائر شخصياته ايضا" مصائر معلقة حرمت شأنها شأن مؤلفها من تحقيق حلم الاستقرار لينعموا بنهاية حكائية طبيعية.

هوامش البحث ومصادره:

(١) الناقد الروسي (ستيبانوف)، في (المقدمة) التي كتبها لترجمة رواية غائب طعمة فرمان – خمسة أصوات) التي صدرت في موسكو عام ١٩٧٤ باللغة الروسية، وقد ترجم مقاطع من المقدمة الدكتور (ضياء نافع) ونشرها بعنوان: خمسة أصوات باللغة الروسية، في مجلة (الأقلام)، العدد ٤–٥–٦، نيسان – مايس – حزيران ١٩٩٥، بغداد، ص٥٩.

(٢) د. مجيد الراضي: غائب طعمة فرمان – الإنسان والكاتب، مجلة (الثقافة الجديدة)، العدد ١٢ و١، ١٩٩٠، ص٢١٩.

(٣) هادي العلوي: قلت لك لا تمت، مقالة نشرت ضمن كتاب: أحمد نعمان، غائب طعمة فرمان – أدب المنفى والحنين إلى الوطن، ص٩٣.

(٤) د. زهير شليبة: النخلة والجيران بين العشق والمرارة، مجلة (المنار)، العدد ١١ و ١٢، السويد، ص١١.

(٥) فيصل دراج: رواية عن الأمس.. رواية عن اليوم، مقدمة للطبعة الجديدة لرواية (النخلة والجيران)، ط٢، الأعمال الكاملة/٣، دار المدى، بغداد، ٢٠٠٩، ص٧، وكانت هذه (المقدمة) قد نشرت أولاً في مجلة (الثقافة الجديدة) العدد ١١، ١٩٨٧، ص١٢٠، وينظر: د. فاطمة عيسى جاسم: غائب طعمة فرمان روائياً، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٤، ص٥.

(٦) ينظر: فاضل ثامر، بين زقاق المدق والنخلة والجيران، مجلة (الكلمة)، العدد ٤، آذار ١٩٦٩.

(٧) هيئة تحرير مجلة (الثقافة الجديدة): البدايات، التكون، الغربة، لقاء مع الروائي غائب طعمة فرمان، مجلة الثقافة الجديدة، العدد/١٨٩، ١٩٨٧، ص١١٥.

(٨) نقلاً عن: د. زهير شليبة: النخلة والجيران – بغداد صايرة مراحيض مال انكليز، (وهي قسم مجتزأ من دراسة طويلة)، مجلة (البديل)، العدد ١٧ مزدوج، دمشق، ١٩٩١، ص٥٨، وقد أعيد نشر هذا الجزء من الدراسة في كتاب: أحمد النعمان، ص٣١٢، وللاطلاع على الدراسة كاملة ينظر: د. زهير شليبة: غائب طعمة فرمان – دراسة مقارنة في الرواية العراقية، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٩٦، ص١٢٣ – فما بعد.

(٩) غائب طعمة فرمان، رواية (النخلة والجيران)، ط٢، الأعمال الكاملة/٣، دار المدى، بغداد، ٢٠٠٩، ص٢٧٥.

(١٠) النخلة والجيران، ص٩٧.

(١١) المصدر نفسه، ص٢٣.

(١٢) النخلة والجيران، ص٤٩.

(١٣) المصدر نفسه، ص٥٦–٧.

(١٤) د. زهير شليبة: غائب طعمة فرمان – دراسة مقارنة في الرواية العراقية، ص١٤٦.

(١٥) الهام عون: الرواية الأولى من الأعمال الكاملة لغائب طعمة فرمان (النخلة والجيران) – دراما السكون، صحيفة (النداء)، بيروت، العدد الصادر بتاريخ ١٩٨٩/٨/١٣، صفحة (ثقافة)، (وقد أعيد نشرها في كتاب: النعمان، ص٣٤٦). وينظر أيضاً: د. فيصل دراج: رواية عن الأمس.. رواية عن اليوم، مقدمة للطبعة الثانية من رواية (النخلة والجيران)، دار المدى، بغداد، ٢٠٠٩، ص٩ و ١١ و ١٤.

(١٦) غائب طعمة فرمان، رواية النخلة والجيران، الأعمال الكاملة/٣، ط٢، دار المدى، بغداد، ٢٠٠٩، ص١٦٣.

(١٧) غائب طعمة فرمان، رواية النخلة والجيران، ص٢٤.

(١٨) النخلة والجيران، ص٢٣.

(١٩) المصدر نفسه، ص١٦٣.

(٢٠) المصدر نفسه، ص٢٤.

(٢١) المصدر نفسه، ص٢٤–٥.

(٢٢) المصدر نفسه، ص٢٦٩ – ٢٧٠.

(٢٣) المصدر نفسه، ص٣٠٠.

(٢٤) المصدر نفسه، ص١١٠.

(٢٥) المصدر نفسه، ص١١٤.

(٢٦) المصدر نفسه، ص٢٢.

(٢٧) المصدر نفسه، ص٢٩٣–٤.

(٢٨) المصدر نفسه، ص٦٦–٧٧.

(٢٩) المصدر نفسه، ص١١٢.

(٣٠) المصدر نفسه، ص٦١–٦٢.

(٣١) المصدر نفسه، ص٨٩.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٨٩.

(٣٤) المصدر نفسه: ٨٩.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٨٩.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٨٩–٩٠.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ٩٠.

(٣٨) المصدر نفسه، ص ٩٠.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ١٦٢.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ١٢٦.

(٤١) المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(٤٢) المصدر نفسه: ١٤٥.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(٤٥) المصدر نفسه، ١٤٥.

(٤٦) المصدر نفسه، ص١٤٤، ١٤٥.

(٤٧) المصدر نفسه، ص٢٣٩.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ٦٨.

(٤٩) المصدر نفسه، ص١٤٣، ٢٠٤، ٢٠٥.

(٥٠) المصدر نفسه، ص١٤٤-٥، ١٧٤.

(٥١) المصدر نفسه، ص١٢٨.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٤٦.

(٥٣) المصدر نفسه، ص٥٠-٥١.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٥٥) المصدر نفسه، ص١٠٥-١٠٦.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ١٥١.

(٥٧) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٨٤.

(٥٩) المصدر نفسه م.ن، ص ١٠٨.

(٦٠) المصدر نفسه، ص ٣٩، ٣٤، ٣٦.

(٦١) المصدر نفسه، ص ٤٣، ٣٥، ٣٧.

(٦٢) المصدر نفسه، ص٣٥، ٣٧، ٣٩، ٤٢.

(٦٣) المصدر نفسه، ص١٢٩، ١٨٩ – ١٩٠، ٢٧٠، ٢١٥.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ٩٠.

(٦٥) المصدر نفسه، ص ٩٢.

(٦٦) المصدر نفسه، ص١٣٣ – ٤.

(٦٧) المصدر نفسه، ص ١٥٩.

(٦٨) المصدر نفسه، ص ١٥٤، ص١٨٦.

(٦٩) المصدر نفسه، ص ١٩٠.

(٧٠) المصدر نفسه، ص١١٤، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤.

(٧١) المصدر نفسه، ص ١٩٠.

(٧٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

(٧٣) المصدر نفسه، ص ٢٧١.

(٧٤) المصدر نفسه، ص ٢٨٨.

(٧٥) المصدر نفسه، ص ٢٨٩، ٣٠١.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ١٧٦، ٢٢٦.

(٧٧) المصدر نفسه، ص ٢٣١.

(٧٨) المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

(٧٩) المصدر نفسه، ص٢٢٠-٢٢١.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ٢٥١.

(٨١) المصدر نفسه، ص ٢٥٢.

(٨٢) المصدر نفسه، ص ٣٣.

(٨٣) المصدر نفسه، ص ٨٦.

(٨٤) المصدر نفسه، ص١٤٠، ١٥٨، ١٦٤، ١٦٥.

(٨٥) المصدر نفسه، ص ٢٤٦.

(٨٦) المصدر نفسه، ص ٢٤٦.

(٨٧) المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

(٨٨) المصدر نفسه، ص٩٢، ١٢٩، ١٩٤-١٩٧.

(٨٩) المصدر نفسه، ص ١٩٩.

(٩٠) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

(٩١) المصدر نفسه، ص٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦١-٨.

(٩٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

(٩٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

(٩٤) المصدر نفسه، ص٢٧١، ٢٧٥، ٢٧٩.

(٩٥) المصدر نفسه، ص٢٨٦ – ٧.

(٩٦) المصدر نفسه، ص ٢٩٦.

(٩٧) المصدر نفسه، ص ٢٨٩، ٢٨٤.

(٩٨) المصدر نفسه، ص ١٨١، ٢٨٨.

(٩٩) المصدر نفسه، ص ٣٠٥.

(١٠٠) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.

(١٠١) المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

(١٠٢) المصدر نفسه، ص ١٥١.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

(١٠٤) د. نجم عبدالله كاظم، حوارات في الرواية، دار الشروق، ط١، عمان، ٢٠٠٤، ص٩٨.